جامعة المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية
السنة الثانية شريعة

محاضرات السداسي الرابع
في مقياس اللغة العربية (البلاغة)

من إعداد الأستاذ: عيسى بوناب

الموسم الجامعي 2023 - 2024

المحاضرة 04

العلاقة بين مصطلحي "البلاغة" و"الفصاحة"

بعد بيان مصطلح البلاغة وإظهار تعلّقه بالمعاني من حيث الوصول بمقاصد الكلام على كنه المتلقي من حيث انبناء مفهوم البلاغة على جزئيات مقتضى الحال مطابقة واتفاقا..

وبعد تفصيل معنى الفصاحة وبيان شروط توفّرها في اللفظ المفرد وفي النظم تجدر الإشارة إلى أنّ ممّا يكتمل به التصوّر بيان وجه التعلّق بين هذين المصطلحين (البلاغة/الفصاحة) وأثره في مباحث علوم البلاغة.

ولعل أقلّ ما يمكن تقريره ابتداءً في مصطلحيْ الفصاحة والبلاغة أنهما متلازمان تلازما يظهره اشتراط الفصاحة في الكلام ليكون بليغا، وثبوت البلاغة في الكلام إذا طابق مقتضى الحال وكان فصيحا، وغاية ما يُطلب بكليهما كلّ على حدة يتحقق مكتملا باجتماعهما، ذلك هو الإفادة بحسن إيقاع وجمال فنّي، وهو ما يؤكّد اجتماع الفصاحة والبلاغة في الغاية من سوق الكلام.

أولا: أراء البلاغيين في العلاقة بين مصطلحي "البلاغة" و"الفصاحة"

بالتتبّع والاستقراء لأقوال البلاغيين وأهل البيان فيما بين البلاغة والفصاحة من وجه تعلّق يمكن إثراء المسألة بجملة آراء بعضها مصرّح به، وبعضها يمليه المنهج العملي التطبيقي لبعضهم.

وأهم الآراء في ذلك:

1_ القول بالتوحيد بين المصطلحين:

ونلمس ذلك عند كلّ من الجاحظ (255 هـ) والجرجاني (471هـ) حيث نلمس في منهجيهما تداخلا بين المصطلحين يجسّده إطلاق البلاغة عندهما وإرادة الفصاحة، وإطلاق البيان وإرادة البلاغة وعلومها، وكذا إطلاق الفصاحة وإرادة البلاغة...

ولعلّ ما يفسّر ذلك في منهجيهما: غلبة المنطلق اللغوي وتغليب الغاية مما يطلب بهذه المصطلحات.

2_ رأي أبي هلال العسكري (395هـ):

إذ يلمس من خلال كتابه "كتاب الصناعتين" أنه كان أكثر حيطة في الجمع بين المصطلحين (الفصاحة/البلاغة) من جهة الإطلاق و الاستعمال: فأحيانا يوحي كلامه باجتماعهما، وأحيانا يصرّح أنهما مختلفان، ولعل هذا احتياط منه لبعض مواضيع وجزئيات الفصاحة من الضياع والإهمال.

3_ رأي ابن سنان الخفاجي (466هـ):

يلمس من صنيع ابن سنان في كتابه سر الفصاحة أنه وضع حدّا واضحا بين المصطلحين فحصر الفصاحة في الألفاظ وجعل البلاغة في المعاني.

والحاصل أن القول باختلاف الفصاحة عن البلاغة إنما هو من باب تيسير الدراسة وتسهيل الإحاطة بالجزئيات طلبا للكل الذي يلتقيان فيه.

ومع ذلك فإنه من الناحية النظرية يمكن اختصار الفوارق بين المصطلحين فيما يلي:

أ ___ من جهة متعلّق كلّ منهما:

تتميّز الفصاحة عن البلاغة بهذا الاعتبار كونها تتعلّق باللفظ وتختص به دون المعنى، ولو كانت تتعلّق بالمعنى لكان لفظ "البعاق" مثل لفظ "المزنة" لاشتراكهما في المعنى، لكن الأمر غير ذلك. بينما متعلّق البلاغة هو المعنى من حيث بلوغه المتلقي، ولهذا يقال: كلام فصيح، ومعنى بليغ، ولا يقال: معنى فصيح.

ب___ من جهة الإفراد والتركيب:

يرد وصف البلاغة للكلام المنظوم دون اللفظ المفرد، أما الفصاحة فتكون وصفا للكلمة وللكلم المنظوم.

ج___ من جهة العموم والخصوص:

البلاغة أعم من الفصاحة، فكلّ موصوف بالبلاغة لابدّ أنه فصيح بلا عكس، لأن البلاغة تشمل الألفاظ والمعاني جميعا، والفصاحة تخص الألفاظ...

فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغا.